



مختصر خطبة صلاة الجمعة 26/8/2022 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالك

(مفهوم بركة القرآن)

البركة هي كثرة الخير ودوامه، وقد ارتبطت بركة القرآن بعقول كثير من المسلمين بقراءته وحسب، بعيداً عن فهمه والعمل به والتحاكم إليه والتفكير فيه، فقراءة القرآن بركة، وحسبك.

ولعل قراءته — كما يقولون — تفك أسيراً، وتسهل ولادة، وتنصر جيشاً، وترد مسافراً، وتنجح طالباً، وربما تدخل ميتاً الجنة!! وفي بعض ما يتناقله الناس أنّ قراءة سورة الأنعام إحدى عشرة مرة تنفع في كذا، وقراءة سورة يسن إحدى وأربعين مرة تنفع في كذا، وقراءة سورة الفتح عدداً من المرات تنفع في كذا، وقراءة سورة الدخان تنفع في كذا.

وغدا بعض المسلمين يسأل جاهداً عن السورة تفتح قراءتها نصيب الزواج، وعن السورة التي تقضي الدين، والسورة التي تقرّب البعيد، والسورة التي تطلق سراح السجين! يريدون بكل ذلك بركة القرآن الكريم، ولا يرون بركته إلا بقراءته، بل ولا يخطر في بالهم إلا القراءة... وبالفعل هم يقرؤون ويقرؤون، ثم لا يفعلون شيئاً ولا هم يريدون أن يفعلوا شيئاً، بل لا يفكرون أن القرآن يطلب منهم شيئاً... لقد حازوا بقراءتهم البركة كلها — كما يزعمون — وكفى!!

ولكن القرآن الكريم — أيها الإخوة — كتاب هداية ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]، وإنما ينال بركته من اتبع هدايته فأتمر بأمره وانتهى عن نهيهِ ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: 155]، بينما يحرم بركة القرآن من لم يعمل بما فيه، ولم يفهم أوامره ونواهيه ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى﴾ [طه: 124].

حاز المسلمون في عصور الخيرية الأولى أعظم البركة من القرآن، عندما قرؤوه وفهموه، وعملوا بما فيه ثم علموه، كانوا لا يسمون القارئ قارئاً حتى يقرأ ويعلم ويعمل، عاشوا مع القرآن وعاش معهم... رفع أحدهم صوته أمام رسول الله ﷺ فنزل القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: 2] فصار يخفض صوته حتى تظن أنه مريض! قطع أحدهم النفقة عن آذاه فنزل القرآن يقول له ﴿وَلَا يَأْتِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُنفِقُوا وَيُضْفَعُوا﴾ [النور: 22] فأعاد النفقة وحلف بالله أنه لن يقطعها بعد! خالف أحدهم أمر رسول الله ﷺ فحذّره القرآن ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63] فبادر إلى طاعة رسول الله... وهكذا كان القرآن يصحّح لهم أعمالهم، ويقوّم لهم أقوالهم، ويحيي معهم أيامهم ويطوي معهم ليلهم، فيعيش معهم ويعيشون معه وله وبه...

من الأخطاء التي وقعت في تصور المسلم أن يعتقد أنّ بركة القرآن بتلاوته وحسب، فتتج عن هذا الفهم الخاطئ عددٌ لا بأس به من المسلمين يقرؤون القرآن ولا يفهمون بعض مفرداته، ولا يسعون لفهمها ويقرؤون القرآن ولا يعملون بتعليماته ولا يفتنون أنه يدعوهم للعمل... يقرأ أحدهم ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: 1] وهو منهم، ويقرأ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾

[المائدة: 1] وليس منهم، ويقرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58] ويحبس من أمانات الناس ما يجب، وأخشى ما يُخشى على هذا أن ينزل به قول القائل: رب تال للقرآن والقرآن يلعنه. والصواب أن بركة القرآن في قراءته وفهمه والعمل به وتعليمه.

والحمد لله رب العالمين